مكتبة المشرق

ديوان ابن الساعاتي

عني بتحقيقه ونشره انيس المقدسي
استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

الجزء الثاني ١٣٨ صفحة

المطبعة الاميركانية . بيروت . آب سنة ١٩٣٩

نقد واستدراك بقلم حبيب زيات

تقدم لنا الكلام على الجزء الاول من هذا الديوان في « المشرق » (٣٧ [١٩٣٩] ٤٦٨ — ٤٧٨) ، و« الخزانة الشرقية » (٣ : ١٧٠ — ١٨٠) وقد انتهى الينا اخيرًا الجزء الثاني وهو الختام . فاقبلنا على تصفحه والنظر فيه ، فألفيناه حافلًا بالحواشي والشروح . ومرّ بنا في اثناء المطالعة مواضع كثيرة تستدعي البحث والاستدراك ، فاحببنا التنبيه على اهمّ ما فيها وفاء بحقوق العلم والنقد ، وفي الصفحة الاخيرة فهرس لاغلاط الطبع يتضمن اربعة منها فقط ، قال : « وهناك هفوات مطبعية لا تخفى على القارئ » وكان الاولى سردها جميعها لخفاء بعضها ، وقد عددنا منها ما يبلغ ١٥ غلطاً من اغلاط الضبط والشكل . وعثرنا على اوهام اخرى نرى من الفائدة الاشارة اليها . وقد قسمنا الكلام على هذا الجزء اجمالًا الى عدة اقسام نذكرها على التوالي:

اغلاط الطبع والسهو

ص. س	الخطأ	الصواب
٧ ١٦	كفٌ بلا زند	كفٌ
٧٤ ١٠	وناقد ابريز المثال وزينهُ	وزينهِ
٨٠ ٢	فاتمًا انساضا حتى اماها	باتمًا كما في الحاشية ١
١٠١ ٤	ولستُ من معشر الاباء ولا	ولستَ .
	الفضل اذا لم تصرتَ من خذلك	
١١٧ ١٩	فيه اطلاؤه والروم	ايطاؤه بالياء
١٢١ ١٧	زيارة ما مُحِّصت بعبَ	زيارة
١٨١ ٩	لقد سرتُ فيها سيرة عمرية	سرتَ لقوله قبلًا تدارك مصرًا
١٨٥ ٣	يوم الزّقاف	الزقاف
٢٦٦ ٦	تلقى الملامة فيكَ بالًا باليًا	فيكَ لقوله في البيت السابق : كم قد ركبتِ اليَّ
٢٧٠ ١٦	فالثناء بكفه	فالثناءُ
٢٧٠ ١٩	كم جئتُ مادحه فاحسن منه رفدي . .	منهُ بالضم فاعل احسن ورفدي مفعول به
٢٨١ ١٦	جنة المقد	جنة المقلد
٢٨٣ ١٧	العبد (حاشية ٣)	العبيد بالياء لقوله في المتن وقد صحّف العبيد الانام
٢٩١ ٧	والعالي يحلل	خيال بالخاء كما في الحاشية
٣٠ ١١	الثاني – وفي فهرس الاغلاط الثاني – التأى	التأى بالثاء
٣٥١ ٩	وايَّ ظل	وايُّ
٣٥٨ ١٥	وقاسوا بك الاشياءُ	الاشياءَ

اغلاط الضبط والشكل

٧٦ ٣	نائية الطرح	الطَّرْح بالفتح تخفيف الطَّرَح اي المكان البعيد أُسكن للضرورة .
٧٦ ٢٢	وليست باهل للتاج وللفحّ	وللفَّح بتشديد اللام بمعنى اللفاح والتاج .
٧٧ ٣	والفاظ شعر ما تنحّلتَ ام درّ	تنحّل ادّعى ونسب لنفسه وهو ضد المراد والصواب تنخّلت بالخاء اي

ص . س . حاشية	الخطأ	الصواب
		اخترت .
٩٣ ٨	أظنّ طليقاً والفؤاد مُدَلَّه وقيد لما حمّلتنيه من الثقل	الوقيد هو ما توقد به النار والصواب وقيذ بالذال المنقوطة وهو الشديد المرض المشرف على الموت .
١١٢ ١ ١	وتكاد تعرف في وجوه بنانها نيه الجمال وعزّة المتدلّل	وفي الحاشية « كذا الاصل والضمير يرجع الى القصيدة » وهو وهم غريب لا ندري كيف يصح منه تطبيق هذا البيت على القصيدة ، وانما يرجع الضمير الى الدار التي اشار اليها قبلًا بقوله : ولقد ابان عن المُلى بنيّة وفي عنوان القصيدة انما قيلت في وصف دار الامير صبر الدين جرام بظاهر المحلة . والمتدلل غلط واضح لانه لا عزّة لمن يتذلل ، والصواب المتدلل من الدلال .
١٦٤ ١١	اي كأس من الجمال يصدّ الـ كأس عني ويمنع الظلم ظلما	والصواب كاسٍ فاعل من كسا يكسو اي ملبس بالجمال .
١٧٧ ١٤	فاستجلها عذراء ايسر خطبها ما عنّ خطب ان تصدّ وتصدفا	وليس في اللغة خُطب بضم الخاء ، والصواب خَطبها بالفتح اي ايسر شأنها وما يلقاه الخاطب لها ان تصدّه وتعرض عنه .
١٨٥ ٣ ٣	والليالي شديدة الآلحاف	بدلًا من الإلحاف مصدر الحف اي الحّ .
٢٠١ ٤	شجاع لا يُبَلّ له طعين	والصواب لا يُبِلّ او يَبِلّ اي لا يبرأ .
٢٠٨ ٩	كم احتقبوا من مدحة تنهج الحقبا	والصواب الحُقبا بضم الحاء بمعنى الدهر والسنين .
٢٢٨ ٦	آليت ألفي خاضعاً لمدّح	الاصل ألفى بالمجهول اي حلفت ان لا أوجد خاضعاً لمدّح غيرك .
٢٧٧ ١	نشوان من خمر الشباب نِداوه ما غار من بان الغويق وغاره	والاصل لا شك قَداوه بفتح الفاء والمعنى ظاهر .
٢٨٠ ٦	فكالهائم العطشان حُلّي عن ورد	بضم الحاء المنقوطة ، والصواب حُلِئ بالحاء المهملة والهمزة بآخره اي مُنع وطُرد عن الشرب .

ص	س.	حاشية	الخطأ	الصواب
٢٨٥	١٧		يفرّ الاعادي لينه دون سطوه	ينصب طعمه على المفعولية وضبط كذا الشهد يخفي طعمهُ سَورةُ السمّ سَورةُ بفتح السين وضم التاء على انها فاعل يخفي . ومعنى السورة بالفتح الحدّة ، وهو خلاف مراد الشاعر كما يتبين لاول وهلة . يقول ان ما يظهره الممدوح من اللين والرفق يفرّ اعاديه فيخفى عليهم ما اتصف به من البأس والسطوة كما يُخفي طعمُ الشهد وحلاوتهُ ما كمن فيه من السمّ الزعاف ، ومن ثم يجب ان يُضبط العجز « كذا الشهد يُخفي طعمهُ سُورةَ السمّ » بضم طعمه على انه فاعل يخفي ونصب سُورة على انها مفعول به وهي البقية والفضلة .
٢٨٦	١٩		ذوو الحسب الوَضّاح والانف الشُمّ	بدلًا من الآنف بالمدّ والضم جمع أنف .
٣٠١	٥	٢	ألومًا بعدما قدمت حقود ومانت في القلوب لي الدخول	في الحاشية : « الدخول جمع دَخل وهو ما يداخل القلب من فساد وغيره » . وهذا الجمع لم يَرِد قول به لان فَعل بفتحتين لا يجمع على فعول ، والصواب ذخول بالذال المعجمة بمعنى الثأر والمداوة .
٣٠٩	٣		اذا انموعم الوادي فلا سال مُذنب	بفتح ميم مذنب . والصحة مِذنب بالكسر وهو مسيل الماء والجدول من الروضة .
٣٢٦	١١		عنَفَ الشوق بالمحبين	والمنقول عَنُف بضم النون .
٣٣٠	١٠		والمولّى من الشباب مولّى	والاصل ، دون ريب ، والوّلي اي ما فات .
٣٣٢	١٠		اي نظم وهبتهُ لذة الـ غمض قوافي من لذة الغمض احلى	والصواب ضم التاء من وهبته لان الشاعر على النظم هو الشاعر لا الممدوح ويؤيد ذلك قوله في البيت السابق « لا عدت ساحتك فادات فكرى » .
٣٣٩	١٩		ويُصيبك جوهره والنَرَنْدُ	والفِرَنْد بكسر الفاء والراء كما

ص . س . حاشية	الخطأ	الصواب
		في معجمات اللغة .
٢٤١ ٣	ونظمتها لبين الملا	بناء المخاطب ، والصواب ضمها لانها تاء المتكلم لقوله في البيت السابق « زففتُ اليك بنات الذهن » .
٢٤٢ ١٨	وكأن سقي جيئاً كؤوس حمامه دهاقاً واطراف العوالي مجاديح	بنصب اطراف على انها مفعول ثان لسقى وهو غلط ظاهر . وقد اخل بتفسير مجاديح على جهل غالب القراء بها وكثيراً ما يتفق له شرح الجلي الواضح من الفاظ الديوان وإغفال الحوشي الغامض ولو راجع هذه المرة كتب اللغة لوقف على قولها « المجاديح انواء السماء » وتحقق مراد الشاعر ان اطراف الرماح هي الانواء التي تسقي الاعداء كؤوس الحمام فهي مرفوعة على انها مبتدأ وخبره مجاديح .
٢٤٤ ١ ١	في عزمه كفُّ الكتيبة خاطباً	وفي الحاشية : « لعلها كفّ » وهو تردّد غريب مع جلاء المعنى ووضوحه بادنى تأمل ، اي ان عزم الممدوح هو كفّ لخطبة الكتيبة وقيادها .
٢٤٥ ١	فكم لي من عذراء اجزلتُ مهرها فلا انا مغبون ولا انت منصوح	ولا حاجة الى التنبيه على ان الذي يجزل مهر القصيدة العذراء هو عادةً الممدوح ، فكان يجب ان تروى لفظة اجزلتُ بتاء المخاطب المفتوحة لا بتاء المتكلم المضمومة ، وقد حار الشارح غير مرة بين التاءين .
٢٤٥ ٥	فثلك مذور الساح بجبها وغيري معذول الطاعة منصوح	ولا معنى هنا لنعت « مذور » والصواب « معذور » بالعين المهملة والذال المنقوطة . ألا يرى الاستاذ حرص الشاعر على مقابلة العذر بالعذل وان اللفظ عنده غالباً هو الذي يقود المعنى ؟
٢٤٧ ١٨	وبأي صبح وعّى نجوم رماحه ما ضوّأت وبروقها لم تخطف	بناء تخطف للمجهول والبرق يكون عادة هو الخاطف ، ألا يذكر

ص. س. حاشية	الخطأ	الصواب
		قول سورة البقرة : «يكاد البرق يخطف ابصارهم » فالصواب لم تخطفر بالبناء للمعلوم .
٢٥٣ ٨	عزم يقصّر عنه الحتل والحِيلُ	والحتل هو الخداع وليس هو مراد الشاعر ، والاصل لا شك الحَيْل بالحاء والياء بمعنى القوة .
٢٦٧ ٨-٩ ٥	ومن لي لو استطيع الشفاء بما حزبتُ من ثروة وصفد . واني كنتُ وعاش الفقيدُ فخُلِّد لو ان حياً خلد	والبيتان في رثاء ابنه وفي الحاشية : « ولعله يقصد واني كنت فداه اي مت » . ولو كان هذا قصده حقيقة لقال « واني متُّ » وهي اوضح وعلّها في الوزن واحد . وانما عنى لو كان هو الفقيد وعاش ابنه مكانه فيجب ضبط الصدر « واني كنتُ — وعاش الفقيدَ » بنصب الفقيد على انه خبر كنت ، وعاش جملة معترضة .
٢٧١ ١٠ ٥	وبتُّ جنيب الحادثات يَقُدْنَني وقد كنت قطّاع الحبائل والشُّكْل	وفي الحاشية : « الشُّكل جمع شكل » ولا ندري في اي كتاب ورد الشكل بمعنى الشكال . وقد اتفق للشارح غير مرة اثبات ما ليس بثابت في دواوين اللغة من المفردات والجموع وتقدير ما لم ينصّ عليه احد من العلماء من معاني الالفاظ . وانما الشُّكل في الحقيقة هو تخفيف الشُّكُل بضمتين جمع شكال لما تربط به قوائم الدابة على الاطلاق لا قوائم الناقة وحدها كما في الحاشية .
٢٨٣ ٩ ٥	والمُمّ جا فيها من اهلها لِمَم وانت خوذة اهل السهل والجبل	كذا بضبط لِمم بكسر اوله . وهذا الحرف هو جمع لِمّة للشعر المجاوز شحمة الاذن . ومراد الشاعر لَمَم بفتحتين وهو الجنون الخفيف ونسر الخوذة بالتي يُتّقى بها الرأس من الهلاك وهي لفظة فارسية بمعنى المغفر

ص. س. حاشية	الخطأ	الصواب
		كان في موضعها في الاصل « عوزة » بالزاي فأثر عليها الشارح حدساً وتخميناً خوذة لانه لم يجدها بهذا الرسم في كتب اللغة ، فكيف لم يتنبّه الى انها هي «العوذة» بالذال اي الرقية التي يُعوَّذ بها المجنون والمصروع ؟

تحريفات الرواة والنساخ

٧	١٠	٦	فالدوح يرقص والبروق بجوّها مثل الصوارم في الرفاف تشام	وفي الحاشية : «يظهر انه كان من عوائدهم ان تُشهر السيوف في موكب الزفاف» وهو وهم جرّ اليه التحريف ، والاصل « في الرقاب تُشام » .
٤١	١٢	٨	وثنى حسودك بالدموع مفلّلا قبل المات وفي الثياب مكفناً	وفي الحاشية : « التفاب (كذا) الملاك » . واللفظة محرفة والاصل «وفي الثياب » بالثاء والباء .
٦٢	٦	٣	غيث جدًا فلا وزى بدر دجى فلا افل	قال : «لعله يريد بالفعل وزى تغيض بمعنى انكسف وتراجع » قلنا وزى في اللغة اجتمع فيكون من ثم قد دعا عليه بعدم الاجتماع والارجح ان اللفظة محرفة عن «ونى» بمعنى فتر وضعف يدعو لغيث جوده باتصال التسكاب وعدم الفتور والضعف .
١١٤	١٣	٥	تنثر الهام فيك او تنظم الـ حمدَ فخَلْ في نظيمها والنثير	والبيت في وصف السيوف القواضب . قال « كذا الاصل ولعله يستعمل خال بمعنى اختال» فيكون من ثم المعنى : « تكثير وتبختر بمثل هذه الافعال من سيوفك القواضب » ومثل هذا القول والمعنى لا يجيء من ابن الساعاتي وهو قد وصف نفسه بانه « ملك المعاني رقة وتلطفاً » (ص ١٢٧) ولا شك ان هنالك تحريفاً من النساخ

ص. س	حاشية	الخطأ	الصواب
		ج	
١٧٦	٣ ٢	ذي السمي تلقاه مسيحاً للملى	وان الاصل «قُتُل» اي قل ما تشاء في نظم السيوف ونثرها.
			قال: «كذا الاصل ولعله يعني انه يجي الملى كما يجي المسيح الموتى» قلنا مثل هذا التشبيه بعيد جداً عن سجية ابن الساعاتي، ولا ريب ان الاصل «مُشيحاً» اسم فاعل من اشاح اي جدّ واجتهد.
٢٢٥	١٠	مولاً عذولي بعلوب المزاء له في كل يوم بإضرام الحشا سَجَن	ولبس في اللغة سَجَن. وانما هي تحريف شَجَن وهو الهمّ والحزن.
٢٨٣	٢٤ ١٤	هو الغيث ما احببتَ سلْهُ تَفُزْ بهِ وان كنت مروق الغنى سائغ الورد	وفي الاصل «برموق» ظن انه تحريف موموق. والصحيح «مرموق الغنى» اي ظاهر النعمة.
٢٨٥	١٥ ٧	هو الجَرَب المرهوب ان حارب المدى بآرائه وهو السلامة في السلم	قال في الحاشية: «لاحظ هنا تكلفه المستفيع تشبيه الممدوح بالجرب لرهبته». قلنا: سرعان ما حكم الاستاذ هذا الحكم الجائر على ابن الساعاتي، وهو ما يشف طبعاً عن سوء اعتقاده في ادبه وذوقه وهل رأى قط شاعراً او متشاعراً تصدّى لمقابلة ممدوحه بمثل هذا التشبيه السمج الشنيع؟ فكيف لم يخامره اقل شك في صحة اللفظة وامكان تحريفها وهو قد اعتاد اذا مرّ به حرف مبهم او معنى غامض ان يكثر من التخريج والتأويل ويردد «لعلّ ولعله» حتى في غير مواضع التعليل فكيف قضى هذه المرة قضاء مبرماً وأنى ولع صاحب الديوان بانواع البديع وهوسه الاخرق بتطلب الجناس والطباق والمقابلة في كل شطر من ابياته كلما استطاع اليها سبيلاً؟ وما كدنا نحن نلقي نظرة على العجز الوارد فيه لفظ السلامة حتى

ص . س . حاشية	الخطأ	الصواب
		رجح لدينا انه اراد مقابلتها بلفظ سابق في الصدر يكون بمعنى الملاك ، وهو لفظ المرّب بالهاء المهملة الذي تقال للاستاذ في جلد الجرب .
٢٩٥ ١٧	ثوّر الوجدَ غير ثورا وقلت في يزيدٍ صبابة ان يزيدا	ولا يظهر على هذه الرواية فاعل « يزيدا » . والصحيح « لن تزيدا » اي الصبابة .
٣٠٤ ١١ ٤	وثناه اناحهُ عرَضَ المـ ـال وعِرْضٌ يُزري على المدليّ	قال : لعله يريد باناحه جعله يفوح « قلنا لم يرد في اللغة فعل اناح ولا نظن ان الشاعر اراد استعماله بهذه الصيغة والارجح ان الاصل « اباحه » وهو اقرب واشبه بلفظة العِرض .
٣٠٧ ٩ ٦	ليس صدق القطين سرًا وجهرًا لك حلو القولين حدًّا وهزلا	وفي الحاشية « كذا البيت » . ولا ريب ان الاصل « لك » بدلاً من « ليس » اي لك صدق القطين وحلو القولين .
٤٠٥ ٧	تُنظّم تعويذًا لها سَبَجَ الدجى	« ينظم سَبَج الدجى » والسَبَج الجزع الاسود شبه به ساعات الليل والتعاويذ لا تخلو من الجزع .

ومما يدخل في هذا الباب ويُستدرك ايضاً على رواية الديوان اثبات البيت الآتي في القصيدة « خليليّ من عليا دمشق سُقيتما » وهو :

وما كل يوم لي بارضك حاجة وما كل يوم لي اليك رسول (ص ٣٧ س ١٣)

وهو ليس لابن الساعاتي استشهد به قديماً بديع الزمان الهمذاني في احدى رسائله (طبعة الجوائب ص ١٣) وهو من قصيدة ليزيد بن المنتشر المعروف بابن الطثرية ساقها ابو تمام في حماسته (٣ : ١٦١ — ١٦٣)

وفي القصيدة « باحت بنجدٍ وهوى غزلانها » (ص ١٣٣) ثلاثة ابيات رويت كما يأتي :

بكى الغمام فشدا قمريّها فرقصت زهوًا قدود باغها
من كل لدنٍ مائس في نوره كالصدة الحمراء في ساغها
مسرح اخواني ونفسي حرّة مذ خلقت تصبو الى اخواتها

ولا يتبيّن كيف يكون بكاء الفهم وشدو القمري وميـان قدود البان « مسرح اخوانه » ولا شك ان هنالك نقصاً في الرواية . وقد راجعنا هـذه القصيدة على ما نقل منها في « عيون التواريخ » لابن شاكر الكتبي فاذا هنالك بيت ناقص يجيء بعد الثاني وهو :

واحزنَ نفسي لفراق وطن من قبل كم اذهب من احزانا

وبه يتضح معنى « مسرح الاخوان » وهو الوطن.

وينتظم في هذا السلك ايضاً إغفال عدة ابيات وردت متفرقة في كتب شتى منسوبة لابن الساعاتي وخلا منها الديوان المطبوع منها اربعة نقلها المقريزي في « الخطط » ، وذكر ان بهاء الدين ابا الحسن علي بن الساعاتي قالها يوم في كسر الخليج ، وهي :

ان يوم الخليـج يوم من الحسن بديع المرقّ والمسموع
كم لديه من ليث غاب صؤول وسماة مثل الغزال المروع
وعلى المدّ عزّة قبل ان تمسلكه ذلة المحب الخضوع
كسروا جسره هناك فحاكى كسر قلب يتلوه فيض دموع

(الخطط ، طبعة النيل ، ٣ : ٢٢٤-٢٢٥)

وروى النويري في « نهاية الارب » خمسة ابيات في الخمر نسبها لابن الساعاتي ولا ذكر لها في احد الجزئين المطبوعين وهي :

وليلة بات بدر التمّ ساقينا يدير في فلكٍ من شرجا شُهُبا
بكر اذا قُرعت بالماء كان بنا جدًّا وان كان في كاساتها لعبا
حمراء من خجل حتى اذا مُزجت لم تدر ما خجلاً تحمرّ ام غضبا
تزيد بالبارد السلسال جذوتها وما سمت بمآء مُحدثٍ لعبا
تكسو الندم اذا ما ذاقها وضحاً حتى كأن شعاع الشمس قد شربا (٥ : ١٢٦)

وفي « الانتصار لواسطة عقد الامصار » لابن دقماق : قال علي بن رستم المعروف بابن الساعاتي :

انظر الى الروضة الغنّاء والنيل واسمع بدائع تشبيهي وتمثيلي
وانظر الى البحر مجموعاً ومفترقاً هنـاك اشبه شيء بالسراويل
والريح تطويه احياناً وينشره نسيمها بين تقريك وتعديل

وقال:

في روضة الفياض صوفية ... هم بغية الخاطر والمنتهى
لهم على البحر اياد علت ... وشيخهم ذاك له المنتهى (ج ٢: ١١٦)

وهذه الابيات الخمسة ليست في الديوان المطبوع.

ولابن حجة في كتابه «تأهيل الغريب» المطبوع في ذيل «ثمرات الاوراق» ابيات في الغزل المحتشم اورد في جملتها لابن الساعاتي قوله:

يحوي قوام الرمح رمح مهفهف ... والسيف في وجناته تورید
فكأنما سمر الرماح معاطف ... والغمام فوق صدورهن غمود (ص ٢٢٨)

قال ويعجبني قول ابن الساعاتي:

من معشر يجل قدر علاته ... عن ان يقال لثله من معشر
بيض الوجوه كأن زرق رماحهم ... سمر بحل سواد قلب المعشر (ص ٢٧٠)

وهي مما يجب ان تضاف الى ملحق الديوان

وحكى الصفدي في كتابه «تحفة ذوي الالباب» انه لما توفي صلاح الدين الايوبي رثاه ابن الساعاتي بقصيدة طنانة كتبها لابنه العزيز اولها:

لئن كان ليل الحزن عمّ غياهبه ... فقد ناب عن بدر التمام كواكبه

ومنها:

هوى جبل الدين الحنيف وزعزعت ... بريح المنايا العاصفات مناكبه
وانهد سيف الله من كل مسارق ... وسيم وكانت محرمات قواضبه
وما ابتسم البرق السماوي بعده ... ولكنه حلّت عليه ذوائبه
وما اهتزّ عطف الدهر الا كآبة ... غداة نوى عنه اخوه وصاحبه

ومنها:

ولم يلكُ فينا يوسف غير يوسف ... لكفّ زمان موبقات مشاغبه
عجبت له لم تُثنِ سطواته ... ولم تثنه اراؤه وتجاربه
ويتلاه المقدار لا هو دافع ... بوادره عنه ولا ذاك هائبه

(خزانة باريس رقم ٥٨٢٧، ص ١٤٦)

— وليس في الديوان اقل اشارة الى هذه المرثية.

المواضع التي اختلفت رواياتها وعدل عن الصحيح منها

تقدم لنا في نقد الجزء الاول من الديوان ان الاستاذ المقدسي كان، اذا مرّت به روايات مختلفة في النسخ التي بين يديه، يقع اختياره منها احياناً على الضعيف المرجوح، ويطرح الصحيح او الراجح. وقد تكرر منه نظائر هذه الاوهام في بضعة ابيات من هذا الجزء نذكر منها ما يأتي:

ص ٦٢ س ٦ شكرتُ من اخلاقهِ فصدّ عني واعتزل

ومن البديهي ان الصدود لا يكون بعد الشكر. وورد في نسختين في مكان شكرت «شكوت» من الشكوى والتظلم وهو ما اراده الشاعر على شرط ان يُصحّح ايضاً لفظة «اخلاقه» جمع خلق بلفظ «إخلافه» مصدر اخلف اي شكوت من قلة وفائهِ بالوعد

٢٢٩ – ١٤ غنّاها الافكار وهي بعيدة لقد غرّ الا بالقلوب لماها

والبيت في وصف «مهفهفة الاعطاف وسنى جفونها» فكيف تكون زيارتها غروراً للقلوب؟ فالرواية الصحيحة هي ما جاء في النسختين الاخريين «لقد عزّ» اي ندر وقلّ فمن الغرور العدول عنها الى «غرّ»

٢٤٢ – ٦ هو المُفقر المغني فعادات جوده ترين وغادات الغوادي مفاضح

وقد اشكل علينا معنى «غادات الغوادي» والغادية في اللغة هي السحابة تنشأ غدوة فكيف تضاف اليها المرأة الناعمة؟ وفي الاصل «عادات الغواني» وهو ما يترجح اثباته مع خفاء الرابط بين الشطرين ولا يمتنع ان تكون الرواية الاصلية «عادات الغوادي» يريد ان جوده اذا امطر كان وقعه جمالاً في حين ان مطر الغوادي يكون احياناً وبالاً وليس في المعنيين على كل حال كبير طائل لحرص الشاعر غالباً على تزويق اللفظ وتزيينه ولو اخلّ بالمعنى.

٢٤٨ – ٦ يا ايها الملك الذي ولّيتهُ قلبي ولايـة حاكم متصرف
وجرى سواك من الملوك بلومه فحوّلت عن سبق مكان المنصف

ولا محل هنا للوم في سياق زعم من الملوك للاستيلاء على قلبه وادراكه بالاحسان والانصاف وفي الاصل «يرومه» اي يطلبه وهو المعنى الصحيح الظاهر بادنى روية ومن الغرابة العدول عنه.

اوهام التأويل والتفسير

في هذا الجزء الثاني ، كما في الاول ، شرح ضافٍ يتناول تفسير الكلمات المفردة ومعاني بعض العبارات والابيات ، على غير افتقارها احياناً الى ايضاح وجلاء لقربها من كل فهم . وربما تكرر تفسير اللفظة الواحدة عدّة مرار لغير داع . وكان الاولى ترتيب الالفاظ الغامضة في معجم خاص يُلحق بالديوان يرجع اليها القارئ عند الضرورة ، اجتناباً لكل تطويل وإملال . وكأنّ الصناعة غلبت على الشارح ، وهو استاذ الادب في الجامعة — ولكل امرئ من دهره ما تعوّدا — فظنّ ان القراء كالطلبة يحتاجون الى شرح غالب الالفاظ والتبسّط في التنبيه على المعاني ، فأرسل نفسه على سجيّتها واكثر من التعليق والتحشية لغير حاجة . وربما اتفق له الاكتفاء بما يحضره من الجواب والمقاربة في توجيه الكلمة وتلخيص المراد بغير تكلف الرجوع الى امهات اللغة والاهتداء بادلّة القرائن ، وفي هذه الطريقة ما لا يخفى من التسامح وقلة الاحتفال بالعلم ، فضلاً عن استغباء القارئ والشكّ في فهمه وذكائه . فلا غرو اذا استرعت النظر واستدعت النقد والجدل ، وقد قيل : من ألّف فقد استهدف . ولو شئنا تتبع المواضع التي قصّر فيها الشرح او ضلّ ، لامتدّ بنا جدًا نفس الكلام واشتدّ سأم القارئ ، فلا بد من الاجتزاء بما لا يخلو الإلماع اليه والتمثيل به من الفائدة .

كفَلٌ يميل اليه ذو الكِفَل (ص ١٨ س ٦ ح ٤)

وفي الحاشية « الكفل الضعف » ، كذا دون ضبط ولا تعيين . وقد يتوهم القارئ ان الضعف ضدّ القوّة . وهو مقتطع بغاية العجلة من قول المعجم : الكِفل الضعف من الاجر والاثم اي مثل مقداره . فايّ معنى تُرى يُستخرج من هذا التفسير ؟ وقد فاته ان ذا الكفل هو المشار اليه في سورة « الانبياء » على اختلاف في تعيينه هل هو اليَسَع ام يوشع ام زكريا . انما ذكره ابن الساعاتي حبًا بالجناس بين الكَفَل والكِفل وهو اكثر ما يحوم في شعره على تطلّب مثل هذه الشعوذة اللفظية ، ومراده ان النبي نفسه لو عاين هذا الردف لم يتمالك ان يهيم به . .

فاذا احتَبَتْ خطاؤها في محفلٍ ٢٦ — ١١ — ٨

قال : « احتى جاس الفرفصاء ويقصد هنا تراجعت او قعدت عن الكلام . » ولم ينقل احد ان احتى هو مرادف قرفص . والاحتباء عندهم ان يشتمل الرجل بثوبه او يجمع بين ظهره وساقه بعمامة ونحوها ، واكثر ما يفعله الخطباء والرؤساء في الاندية اذا ارادوا الكلام او الجلوس للناس . وبمثله مدح ابن الساعاتي القاضي الفاضل وزير صلاح الدين حيث قال :

اذا ما الاجلّ السيد الفاضل احتبى ليوم حباء فالقَ ثملان والسحبا (ص ٢٠٨)

فمن الغريب جدًا بعد ذلك ان يفسّر الاحتباء – وهو فعل الخطباء – بتراجعهم وقعودهم عن الكلام اي بعكس المعنى تمامًا . ومن هذين المثالين المتقدمين تتبين العجلة التي خُطّ بها الشرح احيانًا قبل ان تنضجه نار الروية والتأمل .

(٣٢ – ١٧ – ٧ ثابت الآساس عادي البنا

قال في الحاشية : « لعله نسبه الى عاديا باني الابلق الفرد » ، واعاد هذه النسبة في تعليقه على بيتين آخرين وردت فيهما هذه الصفة « عادي البناء » وهما ص ٤٦ س ٣٠ و ص ١٤٠ س ٢ ، ولا ندري كيف صحّ عنده في القياس بناء «عادي» في النسبة الى عادياء ولا افضى البنا بسرّ اختيار هذا الاسم للدلالة على القِدَم ومرّ به بعد ذلك البيت القائل :

ذو المجد الاصمّ والسنا العا دي الاقدم والمحل التبعي الارفع (ص ٩٢ س ٦)

فعاد الى رشده وقال : « العادي نسبة الى عاد » وسبق له مثل هذا التعريف بعد تردّد وشكّ فيه في شرح بيت متقدم :

لاذوا بعاديّ السيادة لا كمُدانةٍ نبتوا مع النبل (ص ١٩ س ١٥)

فقال : « لعله لاذوا بذي سيادة قديمة عادية نسبة الى عاد » . فكيف لم يذكر هذين القولين في تعليقه على الابيات الثلاثة المذكورة آنفًا ولم يبادر الى تصحيح غلطه فيها ؟ وفي حواشي الديوان امثال ونظائر لهذا التناقض العجيب .

٦٩ – ٦,٣ – ٣ وبكاء الراووق اذ قهقه الإ بريق من حسن نغمة الاوتار
ساجد للصليب منه وما يعرف دين الصليب والزنار

قال : « لعله يقصد بالصليب هنا الردك او ما يتحلب من الابريق فيكون معنى البيت : ساجد لخمره وليس من اهل الصليب والزنار اي المسيحيين » كذا بالحرف الواحد واعجب ما فيه تفسيره الصليب بالردك اي دسم الشحم واللحم ، وافتراضه سجود الابريق لما يتحلّب منه ، فليفهم من استطاع او شاء . وليته سكت تمامًا عن مثل هذا التأويل السخيف ، وصان قلمه عن خطّ هذا التخليط الذي هو ادعى الى البكاء والقهقهة . وانما الصليب هو رسم النصرانية المعروف وقد نبّهنا في كتابنا « الصليب في الاسلام » على عادة خمّاري النصارى بخط

رسمه بالطين الاحمر على البواطي واواني الخمر والشراب (ص ١٥ و٦٥) وهي العادة التي كانت لم تزل متّبعة بدمشق في اوائل هذا القرن بالتصليب على آنية ماء الورد المشهورة عندهم بالألفيّة. والمراد بقهقهة الابريق صوت اندفاق الشراب من فمه حين يخفضه الساقي لاملاء الكأس وهم يكنون احياناً عن هذه الإمالة والانحناء بالركوع، فجعل ابن الساعاتي هذا الركوع سجوداً لصليب الراووق كما يفعل النصارى في الكنائس امام الصلبوت.

١٠٨ – ٦ – ١ فلنا بالهوى حِمام و حيّ ولنا من ندى يديك مداد

يضبط وحيّ بواو العطف وكسر الحاء من حيّ بمعنى الحياة ولم يفسّر كيف يكون الهوى قضاء بالموت والحياة في آن واحد. والصواب حِمام وَحيّ فعيل من الوحى والوحاء بمعنى الاسراع اي قضاء بالموت العَجل السريع.

١١٠ – ١٨ – ٦ فلو انه قصد المخطار لنازح لاصاب عين فساده في الاكحل

قال في الحاشية: «كذا هذا البيت في الاصل وهو مبهم ولعل الخِطار جمع خَطَر اي السحاب اما الاكحل فعرق في اليد يُفصد ولعل معناه: لو انه قصد السحاب لمن لا ماء عنده لاصاب السحاب في اكحله ففصده فصداً». ولا حاجة الى التنبيه على ما في هذا الهذيان واستعارة الاكحل للسحاب من الفظة والسخافة. ومن اقصى العجب تفسيره الخطر بالسحاب، وهو زعم لم يخطر قطّ على قلب لغوي فمن اي معدن جاء به؟ والخطب اهون جداً من ان يحتاج فيه الى استنباط او اختلاف، لان الخِطار مصدر خاطر كالرهان زنة ومعنى، ومقصود الشاعر ان الممدوح حديد البصر في القتال لو شاء المراهنة على إصابة نازح بعيد عنه في مقتلٍ اي في الاكحل وهو المعروف بعرق الحياة لفعل ويؤيد هذا الوصف قوله في البيت السابق:

يُفضي الى السرّ الخفيّ فؤاده تحت السوابغ في ظلام القسطل

١٢٣ – ١٩،١٨ – ٥ وجُلّ ذنبي عند تلك الشِيَعِ حبّ عتيقٍ والبطين الاترعِ

قال: «كذا رواية هذا الشطر في الاصل يشير الى حبّه المعنى الكريم والبعيد الغامض على الغير». وهو تمحّل لغوي في تأويل العتيق بالقديم النفيس والبطين بالباطن الغامض، ولو كان هو مراد الشاعر لقال حب العتيق بلام التعريف كما

ادخلها على البطين. ولكن ما يفعل بصفة الانزع وهو في اللغة من انحسر الشعر عن جانبي جبهته ؟ وكيف لم تنتبه هذه اللفظة التي قُرنت بالبطين الى انه قد ضلّ الطريق ؟ وانما العتيق ، كما يعلمه من له مشاركة في التاريخ ، هو لقب ابي بكر اول الخلفاء الراشدين ، والبطين هو علي بن ابي طالب لانه كان معروفاً بعظم البطن وصلع الرأس ، فيكون من ثم مقصود ابن الساعاتي ان يقول انه سنّي وان ذنبه عند الشيعة ولاؤه للامامين المذكورين.

ومن هذا القول يتضح جيداً معنى الابيات الواردة في الصفحة ٣١٩ التي ارتجلها في جدال احد الشيعة في « تأخير الامام » واجابهُ بقوله :

انظن تأخير الامام بغيبة والنص للاطراف لا الاشراف
زوج البتول ووالد السبطين والقادي النبيّ وبعل عبد مناف

وقد اشكل معناها على الشارح ولم يهتدِ اليه من ذكر البتول والسبطين اي فاطمة زوج علي بن ابي طالب والحسن والحسين ابني بنت الرسول.

٢٣٦-٥-٦ لم ترل في كل حال كفّهُ ضدم المال وللاعداء نبي

قال في الحاشية : « كذا ولعله يقصد تسرّح المال وتأسر الاعداء ». والأسر لا يعبّر عنهُ احد بالبناء . وانما اراد بالبناء مقابلة الهدم الذي كنى به عن الإنفاق لحرصه في معظم شعره على الاستكثار من فنون البديع كالمقابلة والطباق والجناس ، ومراده هنا ان الممدوح يهدم صرح امواله بما ينبيه من الحصون والمعاقل لدفع الاعداء .

٢٦٦-٣-١ ان عاد صبحي وهو ليل داجس فيا صحبت الليل صبحاً سرمدا

قال : « اي ان عاد صبحي ليلاً فلكثرة ما اصابني من الحوادث » وهو خلاف ما اشار اليه في العجز اي ان عاد صباحي اسود بعد فراق الاحبّة فطالما كان ليلي صباحاً بطيب لقائي لهم ونظري الى صباحة وجوههم .

٢٨٢-٥-٦ هو المُنتضي داعيه والمُنتضى الثنا وقد عزّ من يُدعى واعوز من يُمدي

وفي الحاشية : « كذا الاصل وانتصى بمعنى طال وارتفع » . وهو ما يدل على ان ضبط المنتضي بالضاد في المتن هو من غلط الطبع وان الصواب المنتصي بالصاد المهملة وتفسيره انتصى بمعنى طال وارتفع هو غلط ثانٍ لان كلا الفعلين

لازم لا يتعدى الى مفعول ثانٍ . والصواب انتصى اختار وروايتهُ المنتضى الثانية بالالف المقصورة على انه مفعولٌ هو غلط ثالث بدلًا من المنتضي بالياء بصيغة الفاعل يصف ممدوحه بانه يجيب مختارًا من يدعوه ويستلّ سيفه لنصرة من يستعديه .

٣٠٥-٧-٦ قدكَ لا لوم قد عجزتُ عن القو ل وان كنتُ ليس يُفرى فريّ

قال : « كذا الاصل وفي فريّ اضطراب في القافية والمعنى . ولعله يريد به لا احد مثلي » . قلنا ليس هنالك اضطراب وفي اساس البلاغة : « فلان يفري الفري اذا اتى بالعجب » فحقّ القافية ان ترسم فَرِيِّي بيائين بالاضافة الى ياء المتكلم اي عجزت عن القول وان كان لا يقدر احد ان يأتي باعجب مما أحسنه من الكلام .

٣٦٦-١١-٧ خلّني الشؤون وشأن إدرارٍ على دار حللت براتبين موظّفِ

قال : « اما لفظة موظّف فهي كذا في كل النسخ ولم نهتدِ الى المراد منها» قلنا هي صفة إدرار اي إدرار معيّن مقدّر على دار الوقتين .

٣٥٠-٩-٦ لا في النفير اذن ولا في العير معدود ولا في العقد والحلّ

وفي الحاشية : « قولهم لا في العير ولا في النفير مثل يضرب لمن لا يد لهُ في الامر » والصحيح ان المثل الذي يضرب بهذا المعنى هو قولهم لا ناقة له فيها ولا جمل . واما مثل « لا في العير ولا في النفير » فيضرب لمن لا يصلح لمهمّ وللرجل يُحطّ امره ويصغر قدره وشتان بين المعنيين .

٣٦٦-١-١ حتى صدقني يوم فقدي اخا ك واعقبتَه فاقتَ الأوَد

فسّره بقوله : « حزّ لوعتي على اخيك قوّس ظهري ثم جاءت مصيبتك فقوّمتهُ بحرارتها » ولا نفهم كيف ان حزّ اللوعة الاولى يقوّس الظهر وحزّ اللوعة الثانية يقوّمه بعد ذلك بل هو اخلق ان يزيده تقوّساً وانحناء . والمعنى الصحيح ، ظاهر بادنى تأمل : ان ميلادك عقب اخيك كان عزاء لي وقواماً لأودي وكبتاً لاعدائي ولذلك اضاف في البيت التالي :

واملتُ ما فاتني منه فنيلك نمات العدى وحياة الحسـ

٣٩٦-١-١ ـد من سلالة الزنج والرو م بشرها ترضيك اهلًا وسهلًا

قال : يشير هنا الى الدواة ويشبّه صفرتها بالروم وسواد حبرها بالزنج » . وهو تفسير لم يُرزق اقلّ حظ من الروية والتدبّر . والضمير في امه راجع الى القلم الذي نعته قبلًا بقوله :

ناطق وهو اخرس جب المـ ـلَ جزيلًا وبح الفول جزلا

ويعني بأمه الدواة . ومن اشد الغرابة ان توصف بالصفرة وقد صرّح في البيت التالي بقوله فيها :

فهي أخت الليل البهيم فقد تقمّصها بالنحوم خبلًا ورجلا

اشارة الى انهـا كانت سوداء كالليل اي من الآبنوس مستطة بالذهب الذي كنى عنه بالنجوم ولذلك قال انهـا من سلالة الزنج وقد عدّد المقريزي انواع الدُويّ في الدول المصرية وذكر بينهـا « المعمولة من الذهب والفضة والصندل والعود والآبنوس الزنجي والعاج . . . (الخطط ٢ : ٢٦٤) والآبنوس الزنجي هو الذي وصفه ابن الساعاتي ولذلك قال ان ام الدواة من سلالة الزنج فكيف تكون الدواة صفراء ؟ اما بنوها اي اقلامها فكانت كسائر الاقلام صفرًا ولذلك جعلهـا من الروم الذين كانوا يعرفون ببني الاصفر وليس للحبر ذكر في هذا الوصف كما توهم الشارح وهذه الابيات تقدمت على بعض اختلاف في الرواية في الجزء الاول من الديوان (ص ٢٣٠) فلا شك انها كانت مقتضبة من هذه القصيدة وهو ما كان ينبغي ان ينبّه عليه في الحاشية .

وقد ضربنا صفحًا عن كثير من الابيات التي غلب على شرحها الارتباك او الوهم واغا المهم قبل الشرح صحةُ المتن وحسن ضبطه وسلامته من الخلل والتحريف والنقص ، خلافًا للتفسير فانه فضلة او فضول يأخذ منه القارئ اللبيب او يدع ما شاء . وكان احرى بالاستاذ الاقتصار على شرح ما اعتاص فهمه حقيقة ، والتجاوز عن السهل الظاهر منه ، ولو فعل لصان قلمه وعلمه عن شبهات الزلل والتقصير في ما فرط منه سهوًا ، ولاذّخر الوقت الذي اضاعه عبثًا في كتابة ما يُستغنى عنه للتوفر على اطالة الروية في شرح الغامض والمبهم من الالفاظ والمعاني التي توقف واحجم عنهـا حائرًا وَجِلًا وقرف من هابته اللجة فخاض في الساحل . ونحن نعلم ان بين هذه الالفاظ والمعـاني المستغلقة ما لا

يضطلع احد بحلّ مشكله واماطة الحجاب عنه وتسديد ما تشوّه باقلام النساخ الا ابن الساعاتي نفسه لمعرفته بما كانت تعنيه هذه التعابير في زمانه او ما اضمر فيها من الخواطر والرموز وقد سبق وحذّر من يأتي بعده من القرّاء والشرّاح ان يضلّوا في مجاهلها حيث قال بلسان العجب والخيلاء :

ان الفاظي التي يشهد الفضل لها انها الكوامل فضلا
ومعانيَّ لو يسير اليها الفهم يوماً بغير هادٍ لضلّا

وفي هذا القول عذر كافٍ لكل من تعذّر عليه فهم بعض ابيات الديوان ولم يهتدِ الى حلّ كل الغازه ومعمّياته .

اوهام الاعلام

٣٣ — ٤ « عز الدين موشك » بالشين بدلًا من موسك بالسين المهملة وهو عز الدين بن جكر المتوفى سنة ١١٨٩/٥٨٥ احد امراء صلاح الدين الايوبي وموسك هو تصغير موسى كما قالوا جعفرك في جعفر .

٧٢ — ١٢ — ٥ رمى الله جيش الانكتار بروحه فيكفيه ما فيها من البرد والثقل

قال في الانكتار : « كذا الاصل والملحق » قلنا هذا الاسم عُرف به الانكليز في الحروب الصليبية واول ما سمع لا شك في تعريف ريشار ملك Angleterre والالف فيه مماثلة بين الفتحة والكسرة ولذلك كان بعض الكتاب يرسمونه احياناً بالياء اي انكتير كما في كتاب الفتح القدسي مثلًا لعماد الدين الاصبهاني وقد رواه ابن الساعاتي مرة بهذا الرسم في ثلاثة ابيات قالها في صلاح الدين اولها :

سلْ عنه قلب الانكتير فان في خفقانه ما شئت من انبائهِ

وفي الحاشية : «الانكتير اي الانكليز ولعل الانكتير والانكتار واحد » فكان الاولى به ان يستدرك تعليقه الاول ويصححه قبل الطبع .

٧٩ — ١٥ — ٣ « شقة الفسطاس » قال : شقة الفسطاس اي بعد مسافة مصر « ولم يذكر ما هو الفسطاس ولا ابن ورد تعريفه وما تخال هذه اللفظة الا تحريف « القسطاط » بمصر وهو الاشبه .

وفي عنوان هذه القصيدة « وكتب اليه يتشوقه ويتشوق دمشق » والضمير في اليه راجع الى ابي الحسن علي بن نظيف الذي قيلت فيه القصيدة السابقة (ص ٧٧) وهو سهو ظاهر والصحيح ان القصيدة المعنونة مع القصيدتين التاليتين: (معاليكَ اعلى ان يحيط بها الوصفُ) و (سَرَت بدر تمّ في سحاب من النقب) هي في ابي اليُمن تاج الدين الكندي لورود ثلاثة ابيات منها صُرّح فيها بكنيته واسمه وهي (يا ابا اليُمن وهل منقبة) و (ابا اليمن جادتك الغوادي وعرّصت) و (تجافت عن الكندي قلت لها حسبي) وقد عاق الشارح على هذا العجز الاخير « الكندي هو الممدوح (حاشية ١) فكيف لم يتنبه الى تصحيح العنوان مع معرفته ان كنية علي بن نظيف هي ابو الحسن وليس ابا اليمن.

٨١ – ١١ لذّ وادٍ بعيني شاما شغفاً قلبي المتى شرفاها

كذا شغفاً بالتنوين بدلًا من شغفا شرفاها على لغة « اسرَوا النجوى الذين ظلموا » . وقال في تفسير : « شرفاها اي جبلاها والشرف المكان العالي » . واما الشرفان هنا من متنزهات دمشق القديمة وهما الشرف القبلي والشرف الاعلى ، وقد ذكرهما ابن الساعاتي مرة اخرى بقوله:

والشرفين والمصلّى وذرى ربوتها والوهد من ميدانها (ص ١٣٤ س ٦)

وفي الحاشية : « ان هذه الاعلام اماكن معروفة بدمشق » فكيف لم يتذكر تفسيرهُ السابق ليصلحه ؟ وقد اتفق له غير مرة شروح مختلفة على اللفظ الواحد .

١٦٩–١٧–٦ واذا ما تلوتَ ابات وجدي ثمّ فاجعل منهنّ للسهم سهما

قال : « لعله يريد بالسهم الاولى ما اصابه من عيون الاحباب » (كذا) واغرب من هذا التفسير قوله في شرح البيت:

فالشرف الاعلى بتيه شرفًا والسهم سهم والصوم مقتل (٢٩٠ س ٥)

« السهم الكوكب المعروف بالرامي » وهو صنيع من يقتصر على تفسير الالفاظ المفردة بنقل ما ورد من معانيها في كتب اللغة ، بقطع النظر عن مناسبتها للمقام او انطباقها على مراد الشاعر . وقد وقع الشارح كثيرًا في مثل هذا الذهول ، وليُنظر اي معنى يستخلص من ذكر الكوكب المعروف بالرامي في

جنب الهموم ومقتلها. ولكنه ما عتّم ان احسّ بما في تفسيره من البعد والمجازفة فقال على الاثر : « لعلّه اسم مكان » وقد ذكرنا في نقدنا للجزء الاول من الديوان تخليطه وخبطه في تفسير اسم السهم وان هذا العَلَم كان احد متنزهات دمشق القديمة المتصلة بارض الصالحية.

٣٠٠-٥-١ وفي قلب جيجٍ هواه غد وقدماً كان يطربه الحيار

وفي الحاشية : « لعله يريد بالحيار جمع حير وهو البستان او الحيرة وهي الارض المخضرة وهو على كل حال غير واضح ». قلنا يمتنع في القياس جمع حير او حيرة على حيار فكيف صح عنده هذا التقدير ؟ وانما الحيار صقع من برية قنسرين على يومين من حلب ذكره المتنبي في شعره وبه يتضح المعنى.

٢١١-١-١ « آمد بلدة قرب ديار بكر » وانما هي اليوم مدينة ديار بكر نفسها ولذلك يدعو الاتراك بلدة ديار بكر « قره اميد ».

٢٩٤-١٤-٥ صاح لا تبكين زرودَ فما ابعد بعد الفراق منك زرودا

قال : « زرود علَم فتاة ». قلنا : استنوق الجمل. زرود ومال بطريق الحاج من الكوفة بين الثعلبية قدساً والخُزَيمة (معجم البلدان ٢ : ٩٢٨) وفيها قال مهيار :

وانما احنّ الى زرود وطيبتي من غير ما جُبلت عليه زرود

واليها اشار صاحب الديوان بقوله فيما بعد :

طلّقتُ عادات الصبا لبلة أنستَ ليالي عالج وزرود (ص ٢٧٧)

٤٠٣-٨ « وقال ايضاً وكتب بها الى صفي الدين بن شَكَر » بفتحتين والصواب شُكْر بضم وسكون ، وهو وزير الملك العادل اخي صلاح الدين الايوبي ولابن عُنين في هجائه :

ضاع شعري وقلّ في الناس قدري من وقوفي بباب اللئيم ابن شكر

(فوات الوفيات للكتبي ٢ : ٢٨١)

الالفاظ الدخيلة والمحدثة

كنّا ، في ختام كلامنا على الجزء الاول من هذا الديوان ، علّلنا الامل بان يطرفنا الاستاذ في ختامه بفصل وافٍ يعلّق فيه ما شاء عليه ونظره من التنبيهات والاستدراكات على لغة ابن الساعاتي وما تخلّلها من الاسماء المولّدة والصيَغ الطارئة على القياس والافعال والمصادر التي نهج فيها منهجاً جديداً وتوسّع في تعديتها وتأويلها ، ليكون القرّاء على بصيرة من امرها وبيّنة من معناها وصحة استعماله او خطإه فيها. وهي الخدمة التي سبق لمثلها المستشرقون الاعاجم في كل كتاب عربي توآرا طبعه ، واصطلحوا على إلحاقه بفهرس خاص لكل الالفاظ الواردة فيه بمعنى لم يُنبّه عليه في المعجمات العربية . ولا يغبى على احد ما في هذه التنبيهات والشروح من الفوائد والقيود المعينة على جمع تاريخ محيط باللغة في حضارتها وتطوّرها في كل قرن من القرون التي توالت عليها منذ الهجرة ، يستعين به الطالب لتفهُّم آثار الشعراء والكتّاب والمؤلفين في عهد الخلافة العباسية في العراق ومصر الى انقراض دولة المماليك . وكل من عانى درس سجلّات هذه الحقبة بين مطبوع ومخطوط يعلم ما يعترض احياناً دون استيضاح بعض الفاظها وتعابيرها من الشبهات والمصاعب ، لاستغلاق مغزاها ومدلولها ، وهي لم ترد في كتاب موضوع لنظائرها واشباهها ، ولا عُني احد من المتقدمين بجمعها وتفسيرها لمن يأتي بعده . واول من تفطن لها حقيقة وتتبع شواهدها في كتابات العصور السابقة وعلّق عليها التعليقات الضافية المستشرق الفرنسي كاترمير في ترجمته تاريخ المماليك وتبعه الهولاندي دوزي فقيّد شواردها وجمع أوابدها في معجم حافل في مجلدين كبيرين دعاه « تكملة المعجمات العربية ». ومع كل ما استقراه واستوعبه منها لا تزال منها بقايا جمّة ودِمَن مبعثرة في مخطوطات الآداب الاسلامية الى قيام دولة الاتراك العثمانيين . فاذا أُريد متابعة التنقيب عنها وتوزّع مشاق استقرائها والاحاطة بها ، لا بد لكل من يتصدى في الشرق لنشر مؤلّف قديم لاحد الكتبة والمؤرخين او ديوان مجهول من دواوين اكابر الشعراء السابقين ، ان يتحرّى كل الالفاظ الطارئة والدخيلة والمولّدة التي تمرّ به اثناء

التمثيل مما خلت منه كتب اللغة ويبذل جهد الطاقة في تفسيرها والوقوف على معناها. فاما اليوم ، وقد اغفل الاستاذ المقدسي هذه الخدمة الجلّى وآثر التوسع في تأويل المعاني حتى في الابيات التي لا غموض فيها ، فحسبنا ان نجتزئ من الكلام على كل ما في ديوان ابن الساعاتي من مواضع النظر والاستدراك بالاشارة الى ستة الفاظ فقط دخيلة او محدثة وردت في اثناء الشعر لما في التنبيه عليها من الفائدة ، وقد ضرب الشارح عنها صفحاً او لم يهتدِ الى الصواب فيها:

١ بَرْدَار

جاءت في البيت المذكور في الجزء الاول :

لا حاب سعياً بردار الدجى لحجبه عنا جنود الصباح (ص ٨٠ س ١٤)

وهي من الالقاب السابقة لارباب المناصب في الدولة المصرية يكون صاحبها « في خدمة مباشري الديوان في الجملة متحدثاً على اعوانه والمتصرفين فيه . . واصله « فرددار » بقاء في اوله وهو مركب من لفظين فارسيين احدهما « فردا » ومعناه الستارة والثاني « دار » ومعناه ممسك والمراد « ممسك الستارة » وكأنه في اول الوضع كان يقف بباب الستارة ثم نقل الى الديوان »[1] ، وشاع بعد ذلك استعماله في الاصطلاح بمعنى الحاجب والبواب وربما قيل احياناً « بردار » بدال واحدة تخفيفاً قال ابن التنبيه :

انت يا ليل حاجبي فاحجب الصبح وكن انت يا دُجى بردارا

٢ قندس

كتب ابن الساعاتي الى بعض الاكابر وقد ارسل اليه خلعة :

مولاي قد جاءت اليّ الخلعة المقدسه
يصحبها الشربوش سبحان لطيف قندسه (٣ : ٧٣-٢-١)

قال الشارح : « قندس من القندسة وهي خشبة يستعملونها في بناء القناطر فيكون معناه سبحان من رفعه بالقندسة » . قلنا يا سبحان الله كيف يُعقل ان تحمل الخلعة يصحبها الشربوش — وهو قلنسوة طويلة — مرفوعاً بالقندسة اي

١) صبح الاعشى للقلقشندي ٥ : ٤٦٨ - ٤٦٩

بخشبة البنائين ؟ واي معنى لمثل هذا السخف يصلح ان ينظم شعرًا ويستبح الله من اجله ؟ افما كان الاولى الإغضاء عن هذه اللفظة والسكوت عنها كما سُكت عن الفاظ كثيرة في الديوان لم يُرَ لها وجه ولا تفسير ويُترك للقارئ حل مشكلها اذا وجد اليه سبيلًا ؟ والحقيقة ان « قندسه » فعل اشتُق من كلمة « قُندُس » وهو لفظ فارسي يكتب ايضاً بالزاي بآخره اي قندز لكلب الماء اورده غلطاً صاحب محيط المحيط براء بآخره . وكان يُتخذ من جلده قدة كالزيق يطوّق بها الشربوش فمعنى قندسه طوّقه بقدّة من جلد القندس . وقد اشار المقريزي الى القندس في صفته للطاقية في دولة المماليك فقال : « وجعلوا من اسفل العصابة المذكورة زيقاً من فرو المقرَض الاسود يقال له القندس في عرض نحو ثمن ذراع »[1] .

٣ طلب واطلاب

وردت لفظة اطلاب جمع طلب في ثلاثة ابيات وهي :

كتائبٌ كُتُبُهُ احيان يرسلها اطلاجا في طلاب الامر اسطار (٢ : ٢٦٢-٦)
قَيْل كتائبه سطور كتابه فكأنما اطلابه اسطاره (٢ : ٢٧٧-١١)
كم اثارت من قسطل فجرى من فوق اطلاجا ترابًا ورملا (٢ : ٢٩٥-١٤)

وفسر فيها الاطلاب بانها جمع طلب اي طالب قال : « ولعله يقصد ان سطور كتبه تطلب الاعداء كالجيوش » ومثل هذا المعنى الغريب لا يخطر في خاطر ابن الساعاتي وقوله جمع طِلب بالكسر غلط آخر . والصواب جمع طُلب بضم الطاء وهي لفظة دخيلة نشأت في دولة الاتراك والاكراد وفسرها المقريزي بقوله : « الطلب بلغة الغُز هو الامير المقدم الذي له علَمٌ معقود وبوق مضروب وعدة من مائتي فارس الى مائة فارس الى سبعين فارساً »[2] . ثم أطلقت على فرقة الجيش ولا سيما في دولة الايوبيين ، ووردت كثيرًا باقلام مؤرخيهم كالكاتب عماد الدين الاصبهاني ، والقاضي بهاء الدين بن شداد . قال عماد الدين : « رتب السلطان ثمانية اطلاب من الابطال وكمّن بتلك الارجاء كمأة الرجال

١) المقفط ٣ : ١٦١
٢) » ١ : ١٣٩

وانتخب من كل طلب عشرين فارساً»[1] و « عطفت العساكر المنصورة طلّاباً لتلك الاطلاب »[2] ، و « سار السلطان باطلابه وابطاله »[3] وقال بهاء الدين : « كان صلاح الدين اذا اشتد الحرب .. يخرق العساكر من الميمنة الى الميسرة ويرتب الاطلاب »[4] و « كان يجول بفرسه من طلب الى طلب ويحث الناس على الجهاد »[5] واشتق الكتّاب فعلاً من هذه اللفظة فقالوا طلّب اذا رتب الاطلاب ، قال عماد الدين في كلامه على الصليبيين : « رتبوا الرجال وطلّبوا الفرسان »[6] . وقال الصاحب ضياء الدين بن الاثير : « لم يلبث خصومه ان ركبوا وطلّبوا وقصدوه »[7] .

٦ الصفار بمعنى الصفرة في اللون

ورد مضبوطاً بضم الصاد في البيت الآتي في وصف الدينار :

وأخافُ قلب العين حتى شابهُ ذاك الصُفار ليأسه ان يُخزَنا (٣ : ٤٦-١٣)

وهو بالضم داء بالبطن كالصفير . واما اذا أريد به صفرة اللون كما في البيت المذكور فالصاد مفتوحة قياساً على ما جاء على وزن فَعال من الالوان كالبياض والسواد ، وهو بهذا الاستعمال مولّد عامي وقع فيه غير شاعر من المحدثين والمتأخرين كخط ابن التعاويذي في وصف رقعة صفراء بقلم دقيق قال :

لا تنكرنَّ صفار قرطاسي اذا وافى اليك ورقةَ المكتوب[8]

ولمجير الدين بن تميم في وصف كأس المدام :

وما كان هذا لونها غير انها علاها لطول الانتظار صفار[9]

---

١) الفتح القدسي ١٨٤

٢) » » ٢٠٢-٢٠٣

٣) » » ٢٥٣

٤) النوادر السلطانية ١٥

٥) » » ١٥٥

٦) الفتح القدسي ٢٠٣

٧) الثاني من ترسله ، في الخزانة الشرقية ٣ : ١٦٣

٨) ديوانه ص ٥١

٩) خزانة الادب لابن حجة ٢٥٦

٥ اوّلة بمعنى اولى

وردت لابن الساعاتي في قوله :

فثانية مرّها ما حلا واوّلة حرّها ما خمد (٣ : ٢٦٦-٦)

وفي الحاشية عليها : « كذا في كل النسخ وهو خلاف القياس ولعلها آولة بمعنى سابقة من أوّل » ولم يذكر اين وجد أوّلَ بمعنى سبق . ومن الغريب الذي لا يُعقل صدور مثل هذا التسرع والطيش من قلم استاذ الادب في الجامعة ، ولديه امهات اللغة ودواوينها . وقد كان يكفيه ان يفتح اساس البلاغة ليقرأ فيه قول الزمخشري : « تقول جمل اوّل وناقة اوّلة اذا تقدما الابل »[1] ولو بحث ونقّب في كتابات المتقدمين لوجد ان ورود « اوّلة » في مكان « أولى » باقلام بعض الكتاب والمنشئين فضلًا عن الشعراء غير قليل ، ومنه قول القاضي التنوخي في كلامه على الجرايات التي اطلقها الوزير حامد بن العباس على البوابين في داره : « فقال له وكيل الدار : ان الجرايات لما تضاعفت جعلوا الاوّلة لعبادتهم في كل يوم وصاروا يجمعون الثانية عند القصّاب »[2] وقال ايضاً في اخباره عن الوزير ابي الحسن بن الفرات : « وضرب الدهر ضربه وولي الوزارة الاوّلة »[3] ومثله قول هلال الصابئ في حديثه عن مغنّيتين : « اجابت الثانية الاوّلة بجواب في وزن الصوت وقافيته ومعناه »[4] وقال ايضاً في موضع آخر : « يلقاه بعد يوم فيكون حاله معه مثل الحال الاوّلة »[5] ونظيره ايضاً قول ابن القلانسي : « فيها (سنة ٥٣٧) وردت الاخبار بظهور متملك الروم الى الثغور دفعة ثانية بعد اوّلة »[6] ، وممن استعملها كثيرًا أسامة بن منقذ في كتابه « الاعتبار »

---

١) اساس البلاغة ١ : ٣٥

٢) نشوار المحاضرة ١ : ١٥ ومثله ايضاً ص ٩١ و٩٢

٣) نشوار المحاضرة ١ : ٢٨

٤) تاريخ الوزراء ١٩٠

٥) تاريخ الوزراء ٢٧٨

٦) ذيل تاريخ دمشق ٢٧٦

٦ تلاف بمعنى تلف

جاءت هذه اللفظة في مطلع قصيدة في مدح الملك الافضل ابن صلاح الدين الايوبي :

ما على الركب من تلافي تلافي بين تلك النصون والاحقاف (٢ : ١٨٣-٤)

فعلق عليها الشارح : « اي من ندائك قبل ان اتلف وتلاف للتلف ليست في كتب اللغة » (حاشية ٢) وفاته ان يذكر ان تلافي الاولى هي مصدر تلافى اي تداركه وان تلاف بمعنى تلف قد وردت كثيراً باقلام الكتاب والشعراء كابن عُنَين في خطابه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب :

انظر اليَّ بعين مولًى لم يزل يولي الندى وتلافَ قبل تلافي(١

وجاءت ايضاً في ابيات للقاضي عبد الرحمن بن فرفور الدمشقي منها :

صابرته فالجسم مني لفىً تجلدا والقلب مني مريض
فاذ ابى الا تلافي وقد احلّني منه محل النقيض . . .
سلّمت للاقدار مسترعاً لباب مولى ذي عطاء عريض(٢

ومن الغريب الذي يجدر التنبيه عليه خاصة ان ابا العلاء المعري ، وما احد يجهل تضلعه من اللغة ورسوخ قدمه فيها ، قد استعمل كثيراً لفظة التلاف في النثر والنظم وأولع بايرادها بعد مصدر تلافى حباً بالجناس كقوله في رسالة الغفران : « لا تلافيَ بُعيد التلاف »(٣ وقوله في كتاب اللزوميات :

وهل ألَمُّ وداداً رُمَّ من شَعَثٍ وقد لمحت تلافي في تلافيكا(٤

وله ايضاً :

تلافَ امرك من قبل التلاف به فغاية الناس في دنياهم التلف(٥

وقال ايضاً :

١) ثمرات الاوراق لابن حجة ٢٤
٢) نفح الطيب للمقري ١ : ٢٤٤
٣) رسالة الغفران ١٣٣
٤) اللزوميات ١٨٦ -
٥) اللزوميات ٢٩٠

تواعدت اليهود مع النصارى على قتل المسيح بلا اختلاف
وما اصطلحوا على ترك الدنايا بل اصطلحوا على شرب السلاف
تلاقيتما بالقول فيه فجاءهم التلاقي بالتلاف(١

وهي ترد كثيرًا في كتابات المولدين ويظهر انهم اجروها مجرى الهلاك والدمار والتباب والخسار ، وهي واردة كلها على وزن فعال بمعنى واحد . وقول الشارح « تلافي » اي من ندائك قبل ان اتلف » هو تفسير ندر من القلم بغير ادنى روية ، وايّ محلّ للندى هنا وقد صرّح الشاعر انه يؤثر التلف والهلاك « بين الغصون والاحقاف » كناية عن القامات والارداف.

وفي الديوان عدة افعال ومصادر واسماء وصيغ وجموع انفرد ابن الساعاتي باتخاذها شذوذًا ، او اجراها مجرى القياس وحملها معنى لم ترد به او اخرجها عن مألوف اللغة واحكامها لضرورة في الوزن والقافية ، اشار الشارح قليلًا الى بعضها كالأرن للنشيط (٢ : ٢٢٨—١٠) والصّين (٢ : ٤٧—١٣) وسؤدس فعول من ساس (٢ : ٥٠—١٠) وقضوب بمعنى قاضب اي قاطع (٢ : ١٨١—١) ونوم (٢ : ٢٤—١٨ و٢ : ١١٧—٩) ونتوج (٢ : ٢٨٧—٩) على ان ابن الساعاتي ليس اول من اشتقّ قياسيًا صيغة فعول للمبالغة من افعال لم تنقل فيها او لم تُستقصَ وهي كثيرة لغيره من الشعراء والكتاب وفي إقرارها وإحلالها سعة وفائدة في اللغة ، ولكنه احدث معها صيغًا اخرى على غير اساس او مثال سابق كقوله : إباء مستأصر (٢ : ١٦٥ - ١٤) ومنهل مستأسن (٢ : ٢٧١—٨) ومُكبّد من أُصيب بكبده بدلًا من مكبود (٢ : ١٢٨—٧) وموطىء زليل اي يُزَلّ فيه (٢ : ٢٩٩—٢٣) وروادف فُعُم كأنها جمع فعماء بمعنى ممتلئة وهي لم تنقل (٢ : ٣٧٩—٧) وليّان اي لين (٢ : ٤٧٩—٨) ومسيوف مفعول من سافَهُ ضربه بالسيف كما قالوا مديون من دان (٢ : ٣١٥—٨)

ومن الافعال التي تستدرك عليه : لهيت بدلًا من لهوت بالواو(١ : ٦٠—١٤) وعلق الحبلَ باسقاط با. الجر (١ : ١٧١—١٠) ونجوتِ من الاشجان قلبًا في مكان نجيتِ او انجيتِ (١ : ١٧٧—١٦) واسليتُ الشوق دمعي بغير على

١) الزوميات ٢٩٦

(١: ١٨٢—٣) واختلف انتعل من الخلف (١: ٢٣١—٢) « ولا نَبَتْ مصرٌ وكالي عن مصر » في معنى باعد والفعل لازم (١: ٢٨٧—١٣) وشبّه في موضع شبّه بالتشديد (٢: ١٣١—١٤) ورفع السماء العِشْر اي ابلغه (٢: ٣٣٦—٦) والطوفى افعوعل من الطفيان (٢: ٣٣٣—٣) وتابقَ العلمَ (٢: ١٣٠—٧) ونائر الخُطى (٢: ١٧٩—١٣) والخصب جعله مخصباً والفعل لازم واسمن بمعنى سمُن (٢: ٣٤٧—١٦) ونائل يتثجّج اي يفيض تفعل من ثجّ (٢: ٣٥٦—١٤) ويُبختهُ اي يسعده من البخت كلمة فارسية بمعنى الحظ (٢: ٣٩٠—٢)

ومن المصادر طعن خلاج (١: ١٥٣—٢) والابتياح من ابتاح وهو غير منقول (١: ٢١٩—٨) والخناعة بدلاً من الخنوع (٢: ٢٥٨—١٢) وكراهاً في نقيض طوعاً وهو لم يرد في اللغة (٢: ٨١—٢)

وقد سكت الشارح عن كل هذه التجوزات والمخالفات فلم يُشر اليها بحرف واحد .